الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر .بسكرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري

الملتقى الدولي:

مفدي زكريا شاعر الوطن والثورة

عبر تقنية Google Meet **بقاعة التحاضر عن بعد بالمكتبة المركزية**

شهادة مشاركة

يتشرف رئيس الملتقى الدولي الموسوم بـ: **مفدي زكريا شاعر الوطن والثورة**

المنعقدة أعماله يومي 11 و12 ماي 2022م

بتقديم هذه الشهادة لـ: .**د/ محمد سعدون جامعة محمد بوضياف المسيلة**

نظير مشاركته(ا)بمداخلة بعنوان: **المماحكة بين الصور الفنية و الثورية في شعر مفدي زكريا**

رئيس الملتقى **رئيس القسم** **عميد الكلية**

الدكتور : علي بخوش

د/ كنيزي ابراهيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية الآداب واللغات

الدكتور محمد سعدون
الرتبة: أستاذ محاضر (أ)
جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملتقى الدولي: مفدي زكريا شاعر الوطن والثورة

التاريخ: 11-12 ماي 2022

عنوان المداخلة

المماحكة بين الصور الفنية والثورية في شعر مفدي زكريا

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري

الملتقى الدولي : مفدي زكريا شاعر الوطن والثورة

11 و 12 ماي 2022م

عبر تقنية google-meet _بقاعة التحاضر عن بعد بالمكتبة المركزية

برنامج اليوم الأول 2022/05/11م

الجلسة الافتتاحية: 9:00 – 9:30
رئيس الجلسة : د. علي رحماني
آيات من القرآن الكريم
النشيد الوطني
كلمة رئيس اللجنة العلمية للملتقى : أ.د. عبد الرحمن تبرماسين
كلمة رئيس الملتقى : د. رحيم عبد القادر
كلمة رئيس القسم : أ. د. علي بخوش
كلمة عميد الكلية : د. إبراهيم كتيري
كلمة مدير الجامعة : أ.د. أحمد بوطرفاية

الجلسة العلمية الأولى : 9:30 – 11:00 رئيس الجلسة أ.د نعيمة سعدية		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
د.رسول بلاوي، د.فاطمة تنها : الخطاب الحجاجي ودلالاته البلاغية في قصيدة فلسطين على الصليب لمفديزكرياء	جامعة خليج فارس- بوشهر، إيران	10د
د.عيسى جبالي : شعر مفدي زكريا : ثراء المعمار الفني وأقاصي المعنى	تونس	10د
د.جمال ولدالخليل : الوظيفة الشعرية في قصيدة "الذبيح الصاعد" لمفدي زكريا	جامعة حائل المملكة العربية السعودية	10د
أ.دمحمد عبد الهادي : القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري الحديث، مفدي زكريا نموذجا	جامعة الجزائر	10د

د.حسان زرمان : منهجية البحث الأدبي في كتاب شعر الثورة عند مفدي زكرياء	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.أمالدهنون : جدلية العلاقة بين الشعر والثورة عند مفدي زكرياء	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.غنية بوضياف، ط د/بعيسى نسرين :الشعر الثوري عند مفدي زكرياء قراءة في الأنساق المضمرة	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د

الجلسة العلمية الثانية : 11:00 – 12:30		
رئيس الجلسة أ.د ليلى كادة		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
د.خضراويزينب :الفكر التحرري في شعر مفدي زكرياء، قراءة في الأبعاد والتجليات	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	10د
د.سعيدة حمداوي : القيم الثورية في قصيدة "نشيد جيش التحرير الجزائري" لمفدي زكريا	جامعة أم البواقي	10د
د.سبتاق سليحة، د.دخيةفاطمة :هندسة التكرار ودهشة التلقي في قصيدة إلياذة الجزائر	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.حاتم كعب: الآخر في شعر مفدي زكريـا	جامعة أم البواقي	10د
د.أمينةأونيس ؛ د.سلافبوحلايس : سؤال الكينونة : قراءة في شعر مفدي زكريا	جامعة سطيف/جامعة ام البواقي	10د
د.غنية تومي : الثورة الجزائرية وثوارها في الشعر العربي الحديث والمعاصر جميلة بوحيرد أنموذجا.	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.مهديمشتة : صورة الثورة التحريرية الجزائرية والاتصال الجماهيري في القصيدة الشعرية العربية.	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	10د
مناقشة 20 د		

الجلسة العلمية الثالثة : 12:30 -14:00		
رئيس الجلسة د. سبتاق سليحة		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
ط/بلبولزليخة، د.بلقاسمرفراني :إرهاصات الحس الثوري ومظاهره في شعر مفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط د/فاطنة سويح، د/أبو بكر زروقي : الثورة الجزائرية في نماذج من قصائد مفدي زكريا دراسة في الآليات الحجاجية	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط/ فطيمة خلاف، د. حمدي منصور جودي : الأدوات اللغوية ذات البعد الحجاجي في ديوان اللهب المقدّس لمفدي زكريا-دراسة لنماذج نصية مختارة	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط/نور الهدى صوطي، البعد الجمالي للفعل الكلامي في النشيد الوطني الجزائري قسما	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط/أحمد وناسي : استحضار الشخصيات والأحداث التاريخية في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، شعر مفدي زكرياءأنموذجا.	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د المسعود قاسم :الوعي الثقافي والحس الثوري عند مفدي زكرياء	المدرسة العليا للأساتذة العلمة/سطيف	10د

ط/حوحو دلال : الثورة في شعر مفدي زكرياء الذبيح الصاعد نموذجا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
مناقشة 20 د		

الجلسة العلمية الرابعة: 14:00 – 15:50 رئيس الجلسة د.باديس لهويمل		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
د.زينبمزاري:إلياذة مفدي زكريا وتاريخ أمّة	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.مدانيمدور:الثورة عند شاعر الثورة	جامعة باتنة 01	10د
ط/حسني فتيحة أبعاد الهوية الوطنية في شعر الثورة الجزائرية عند مفدي زكرياء	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د/ فاتح عياد : تجليات معالم الهوية في الشعر الثوري لمفدي زكريا-إلياذة الجزائر أنموذجا.	جامعة سكيكدة	10د
حمريط فاطمة الزهراء: المضمون الشعري الثوري وبناء القصيدة عند مفدي زكريا دراسة تحليلية فنية الذبيح الصاعد أنموذجا	جامعة الدكتور يحي فارس المدية	10د
ط د/يحي عماد، ط د/ يوسف غنياوي: حضور القصص القرآني في إلياذة الجزائر قصص قوم عاد أنموذجا	المدرسة العليا للأساتذة العلمة/سطيف	10د
ط د/دين لخضر، أ.د هامل شيخ: اللهب المقدّس لمفدي زكريا بين الثورة والهوية دراسة نموذجية	جامعة عين تيموشنت	10د
د.باديس لهويمل، د نور الهدى حسني :أَناشِيد مفدِي زَكَريَا الوَطَنِية إبَانَ الثُّورَةِ وأثَرُهَا فِي شَحذِ الهِمَمِ واستِنهَاضِ العَزَائِمِ دِرَاسَة وصفِيّة لِنَماذِجَ مُختَارَة	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط د / جاطة مسعودة : ثنائية الغدر والوفاء في قصيدة فلسطين على الصليب لمفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
مناقشة 20د		

برنامج اليوم الثاني : 12 /5/ 2022

الجلسة العلمية الأولى : 9:00 – 10:30 رئيس الجلسة أ.د الأمين ملاوي		
اسم الباحث/ المداخلة	الجامعة	المدة
د.السعيدقبنة : جماليات التشكيل الاستعاري في شعر مفدي زكرياء قصيدة في مدح الشيخ أحمد التيجاني نموذجا	جامعة الوادي	10د
د.موسى كراد : كيف نتحدى الموت أمام المقصلة لمفدي زكريا قراءة في الموقف والتشكيل	المركز الجامعي مينة	10د
أ.د محمد السعيد بن سعد : الثابت اللساني الصوتي في قصيدة ثورة الجزائر في عيون كتاب مصر للشاعر حسن فتح الباب	جامعة غرداية	10د
د. توفيق مساعدية : خطاب الثورة وثورة الشعر عند مفدي زكرياء	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1	10د
ط د محمد قحام :التشكيلات البنائية للخطاب الشعري الثوري ودلالاتها في قصيدة "النبيح الصاعد للشاعر مفدي زكريا"	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط/بريش هناء أم الخير : استدعاء الشخصيات الوطنية في شعر مفدي زكرياء دراسة في قصيدة النبيح الصاعد	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
أ.د الشامخة خديجة : مفدي زكريا مناضلا ومفكرا بأقلام مغاربية مجلة "دعوة الحق" عينة.	جامعة غرداية	10د
مناقشة 20 د		

الجلسة العلمية الثانية : 10:30 -12:00 رئيس الجلسة أ.د سليم بتقة		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
د.سوسنبرادشة :من تجاوز السلطة اللغوية إلى التسلط على فتيات الخطاب الشعري، مقاربة تفكيكية في نماذج شعرية من ديوان اللهب المقدّس لمفديزكرياء	جامعة الوادي	10د
د.آسياجريوي : الثورة الجزائرية في شعر مفدي زكريا قصيدة نوفمبر أنموذجا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د. عبد القادر رحيم : الجملة المُحوّلة في شعر مفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.سامية غشير، د نصيرة لكحل : جماليات الشعر الثوري عند مفدي زكريا دراسة أسلوبية فنية	جامعة الشلف	10د
ط د/ نور الهدى غرابة، ط/ جوهرة شعانبة : الحس الوطني والقومي في شعر مفدي زكرياء اللهب المقدّس أنموذجا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط/ حياة سارسة الهوية وصراع الأنا والآخر في الشعر الثوري لمفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ترغيني كريمة : استدعاء الهوية الدينية في شعر مفدي زكريا الإليادة أنموذجا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
مناقشة 20 د		

الجلسة العلمية الثالثة: 12:30 – 14:10 رئيس الجلسة أ.د عبد الرحمان تيبرماسين		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
د.محمد سعدون : المماحكة بين الصور الفنية والثورية في شعر مفدي زكريا	جامعة المسيلة	10د
د.سليم كرام : تشكيل القصيدة وصور صناعة الدهشة في ديوان اللهب المقدّس لمفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.عواج حليمة ، د.نادية سلطان : نصوص مفدي زكريا في مناهج التعليم الجزائرية الحضور والغياب	جامعة باتنة 01	10د
د.علي رحماني، د. هطال زهر اليوم : جمالية الانتماء وسؤال الهوية ، دراسة تطبيقية في شعر مفدي زكريا.	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.نادية خميس : شعر مفدي زكريا بعد الاستقلال قراءة في فعل التغييب ومظاهر الاغتراب	جامعة باتنة 01	10د
ط.د/ دليلة بوغديري : الثورة والاغتراب من خلال شعر مفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
د.نوال مدوري : الفكر التجديدي في شعر مفدي زكريا	جامعة تبسة	10د
د.أحمدبزيو : التناص في شعر مفدي زكريا	المركز الجامعي سي الحواس - بريكة	10د
مناقشة 20 د		

الجلسة العلمية الرابعة: 14:10 – 15:50 رئيس الجلسة د. دخية فاطمة		
اسم الباحث /المداخلة	الجامعة	المدة
ط.د/ أمال بخوش : مسالة الهوية وأبعادها وتمثلاتها في شعر مفدي زكريا.	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط.د/عتاب حجيرة، ط.د/ راوية بلقليل : تجليات الرمز في شعر مفدي زكريا نماذج مختارة	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
ط.د/ جنان عبد المالك : تمثلات الهوية في شعر مفدي زكريا	جامعة الوادي	10د
معلم ياسمينة ، نهاد خلوف : بواعث الغربة وأبعادها في شعر مفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
عبد الصمد بوسيف : تموضع الإلتزام في قصيدة "واجعل المغرب وحيدا" لمفدي زكريا	المركز الجامعي -مغنية	10د
ط.د/ جنان العربي : الغزل والرثاء الثوري في شعر مفدي زكريا	جامعة الشلف	10د
ط.د/ مديحة أعراب : التلقي من خلال نصوص مفدي زكريا بين الإمتاع والإقناع	جامعة قالمة	10د
ط.د/ الضاوية قطوش، أ.د محمد قنطازي : جماليات شعر زكريا الثوري ومرتكزاته الفنية.	جامعة الأغواط	10د
ط.د/ هنية مبروكة : الثورة الجزائرية في شعر مفدي زكريا	جامعة محمد خيضر-بسكرة	10د
مناقشة 20 د		

الاختتام وقراءة التوصيات .

جامعة محمد خيضر بسكرة
قسم الآداب واللغة العربية

الملتقى الدولي: مفدي زكريا شاعر الوطن والثورة

الدكتور محمد سعدون
الرتبة: أستاذ محاضر (أ)
جامعة المسيلة

المحور الرابع: الأبعاد الفنية والجمالية في شعر الثورة

عنوان المداخلة: المماحكة بين الصور الفنية والثورية في شعر مفدي زكريا

لم يكن غرض مفدي زكريا في إنشاء شعره المتعة الفنية والزخرفة اللغوية، وإنما أراد لشعره أن يكون سجلا حافلا للثورة الجزائرية، وتعبيرا صادقا عن واقعها الحقيقي، ومع ذلك فإن شعره لم يخل من الطلاوة الأدبية والصور الفنية الإبداعية، وقد وردت عبارة في مقدمة ديوانه اللهب المقدس يقول فيها الشاعر "لم أعن في اللهب المقدس بالفن والصناعة اللفظية عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي"[1]، ولعله يشير بذلك إلى النقاد والدارسين لكي يأخذوا في الاعتبار الدافع الأساسي لشعره حتى لا يسلطوا على شعره الأحكام النقدية المبنية على القياسات النقدية الموضوعية المعيارية أو التحليلات الأدبية الفنية كما اعتادوا أن يتناولوا الشعر في دراساتهم النقدية، فشعر مفدي زكريا يختلف تماما في بنائه وأنماط أساليبه ولهجته ونسيجه ككل عن أشعار غيره، وعلى هذا الأساس فإن كلمته في مقدمة "اللهب المقدس"، تظل تمثل شرطا أساسيا يبرر

انزياحه أحيانا عن الأساليب اللغوية الفصيحة الفنية ويلجأ للتعبير الحر عن مشاعره الثورية في حماس وغضب ضد المستعمر أو يطغى عليه الاعتزاز والفخر بالوطنية والقومية، وقد صرح بذلك بعد الاستقلال في حوار له بجريدة الشعب الثقافي في 05/أوت/1975 قائلا "حياتي الأدبية متصلة اتصالا جذريا بنشاطي القومي"[2]، وكان مفدي زكريا يدعو إلى مواجهة الاستعمار وتحرير الوطن بأسلوب التحدي والمواجهة، وعرضه موقفه للآلام والمعاناة وملاحقة الاستعمار والسجن ومن ثمة "أصبح الجزائريون يجاهرون بمشاعرهم الوطنية ويتعصبون لها"[3]، وانطلاقا من هذا الشعر الوطني القومي يمكن القول بأن صوره الثورية تطغى في قصائده عن الصور الفنية المعبرة عن الحس الجمالي، ومع ذلك فإن طبيعة الأدب تبرز بشكل أو بآخر في نصوصه الشعرية اعتبارا من الذوق العاطفي اللغوي الذي يصبغ الألفاظ والجمل بالطلاوة الأدبية ويضفي عليها ألوان الفن والجمال، فهو حين يتغنى بالوطن ويصدر ألحانه الشعرية، فإنه يلامس الفن في تجلياته المختلفة حزنا كان أو فرحا، فحتى المأساة يتولد منها الجمال والفن "من الألم يتولد الأغنية"[4] كما يقول محمد ديب.

أما الناقد محمد مصايف فقد تناوله بحس نقدي دقيق، وذوق فني عميق، إذ أدرك هذا الجانب لديه مع أنه لم يصرح به، فاختار من أساليب النقد ما يلائم خصوصية هذا الشاعر وطبيعة شعره، إلا أن بعض الدراسات الأخرى أهملت هذه الطبيعة، فخرجت بأحكام لا تنطبق على شعره الثوري الحماسي الجماهيري، فالشاعر لما صرح في مقدمة ديوانه "اللهب المقدس" بطبيعة شعره يكون بذلك قد برر سلفا ما سيبيحه لنفسه من تجاوزات في بعض الأحيان لقوانين الفن، من أجل صيحة ثورية أو نزعة وطنية تتملكه، فلا يراعي سنن الفن الصناعية أو مقاييس اللغة حين يستولي عليه نوع من التمرد والعنف كثائر يرفض الحواجز، فلا يتاح له الصبر على التأني في ترتيب شظايا النفس

قسم الآداب واللغة العربية (1)

المتفجرة في قوالب وأشكال فنية لا تسع حجم ثورته وانفجاره، وبذلك احتضنت الجماهير العريضة المتأثرة نداءه، وكان رمزا يمثل تلك الجماهير ويعبر عنها، ولا ندري كم شاعرا في التاريخ أعطى لمبدئه أولوية على فنه[5]، يقول في إحدى قصائده:

سل الفصحى.. وقل للضاد رفقا

لسان الحال أفصح منك نطقا

وخل الشعر، فالأيام شعر

قصائدها على الأجيال تلقى[6]

فهو في هذين البيتين يعبر عن حال تتجاوز اللغة في معاييرها المحسوسة، إنه يشبه ذلك الصوفي المنجذب الذي يتماهى مع الكون والحب الإلهي، إنه مستهام بالثورة وبحب الجزائر، فهو لا ينمق الأساليب ولا يزخرف العبارات كما يفعل الشعراء.

وهذه المواصفات في شعره جعلته يقع في المباشرة والنظم في كثير من الأبيات والقصائد يقوله في قصيدة "عشت يا علم":

هيا.. هيا قفوا

وارفعوا العلم..

وانشدوا، واهتفوا

واعزفوا النغم[7]

تبدو الخطابية واضحة في الأسطر السابقة فالصور لا تتجاوز صيغ الأمر والحث على النشيد والهتاف، ولكنه في قصائد أخرى يبدو كأنه فنان يرسم المشاهد بالكلمات، وتتولد الصور الفنية ذات الزخارف والألوان الأدبية، يقول في مطلع قصيدة "الذبيح الصاعد": التي نظمها في أول شهيد دشن المفصلة وهو أحمد زبانا في ليلة 18 جوان 1956:

قام يختال كالمسيح وئيدا

يتهادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر ، كالملائكة أو كالط

فل، يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه، جلالا وتيها

رافعا رأسه، يناجي الخلودا

رفلا في خلاخل، زغردت

لأ من لحنها الفضاء البعيدا[8]

فهذا المشهد البطولي، عبر عنه مفدي زكريا رغم حماسه وتأثره بصور تجاوز فيها التعبير المباشر والصور الخطابية، ومن ثمة فإن شعر مفدي يتراوح بين الحس الواقعي والحس الفني الذي يتطلب ألوانا من البلاغة والمجاز والمحسنات اللفظية، ومع ذلك فإن التعابير الفنية الأدبية لا تجعله يبعد عن روح الثورة، وإنما يحدث في هذه القصائد نوع من التمازج والتآلف بين الحس الواقعي والفن الوجداني، فمفدي زكريا شاعر تتجاذبه أجواء الحماس والثورة تارة وأجواء الفن في طقوسه الجمالية تارة أخرى، فالمتلقي حين يقرأ قصائده يعيش معه عنف الثورة وسورتها ولطافة الفن وجمال الذوق والخيال، فهو شاعر فنان ثائر ، ألهمه حب الوطن الحماس الثوري الممزوج بحب الجزائر التي يراها قطعة قدسية وحنة فيحاء، ومن ثمة فإن صوره الشعرية تتماحك وترتطم فيتولد من خلال ذلك التماحك والارتطام صور تتشظى معبرة عن واقع استعماري أليم وعن حب عارم منقطع النظير لبلاده، فالصور في شعره تتبارى بين الوهج والظل، بين الواقع والفن، "ومع التركيز على تفكيك مضامين بعض الأبيات من الديوان من جانب المعنى فقط، مراعاة لما قاله الشاعر في المقدمة، إلا أنني ألفيته نسيجا رائعا في الفن، ما عدا

بعض الأبيات التي طغى عليها النظم والخطابية، وإن كانت هذه القضية طبيعية جدا ونجدها عند كبار الشعراء القدماء والمحدثين على حد سواء، والسر في ذلك هو أن حوافز الشاعر، قد تكون جميعا مستعدة ومهيأة في وقت ما أو في لحظة معينة، فيتأتى له من ذلك الاستعداد أن يبلغ درجة من التفاعل الحقيقي مع الموضوع لاعتبارات نفسية ومزاجية وموضوعية، وأحيانا أخرى يحوك الموضوع في صدره دون أن يجد القدرة الكافية على تجسيد رؤاه بالدرجة التي يحسها في داخله فيتعسر عليه التحكم في الشكل بالقدر المطلوب، فتستولي عليه الصنعة، ويقع في الخطابية والمباشرة وإقحام الكلمات"[9]، ولكن مفدي زكريا في صوره الشعرية لم يباين القدماء في تشكيل الصورة، بل نجده يحذو حذوهم أحيانا، إذ كان متشبعا بالتراث لذلك ظلت صوره تتراوح بين الشعر القديم والشعر الحديث، فهي ليست صورا بيانية وبديعية بحتة كما في الشعر القديم، حيث تكون الصورة "هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والجناس وغيرها من وسائل التعبير الفني"[10]، فالسياق البياني المتمثل في عمود الشعر هو المتحكم في نوعية الصورة وطبيعتها، وشعر مفدي زكريا لا يخلو من هذه الصور، كقوله على لسان العمال:

نحن في الشعب نؤدي فرضنا

ننقذ العمال من عيش الضنى

نحن بالأشغال نحيي أرضنا

ثورة التحرير تحمي عرضنا[11]

وهذه الصور المباشرة لا مماحكة فيها، فهي متجانسة أحادية تكاد تخلو من الشعرية والمجازات الفنية، إنما تتجلى المماحكة في تلك الحالات التي ينصهر فيها الشاعر مع الحدث ومع الوقائع الثورية، حينئذ وفي خمرة الذوب والانصهار يتماهى الفن مع الحس الثوري، وتتشظى الصور بددا بين رؤية ثورية وأخرى فنية، وربما كانت معظم قصائد الشاعر تدخل ضمن هذا السياق. وبالتالي فإن قصائده الأكثر شاعرية تتشكل من هذين النوعين من الصور ويتجلى الارتطام والتماحك والتجاوز والتلامس بين الصور الفنية والثورية، ومن ثمة كان لشعره أثر بالغ في نفوس الجماهير التي تجد فيه ما يلبي أحاسيسها الثورية والفنية معا، ولعل الشاعر كان بارعا جدا في توظيفه للألفاظ البسيطة المتداولة وصياغتها بشكل ثوري فني يلامس الوجدان الشعبي المشترك الذي وحدته الثورة والمعاناة، حيث أصبحت قصائده مزيجا رائعا من الثورة والحماس والفن، فاعتنقها الشعب وتغنى بها في وقت زادته ولعا وحبا وتصميما على التحرر وفك الحصار. وهكذا فإن ذلك المزج بين الصور الثورية والفنية المتماحكة لم يكن سلبيا بل كان وسيلة للضرب على وترين نفسيين يثيران في الأعماق الحس الثوري والوجداني الفني معا، وبذلك كان لصدى شعره وقع كبير بين أوساط الشعب المملأة بحماس الثورة على أنغام الفن، وربما مفدي زكريا ذاته لم يعرف أن شعره قد ازداد تأثيرا حين امتزجت فيه الصور الثورية والفنية.

إن قصائد الشاعر تولدت عن مبدأ وهو حب الوطن فأزاح الفن جانبا لما كان المعنى أكبر من أن يحمله الفن، ولكن تلك العاطفة العارمة تجاه الوطن لم تخرجه عن الاتقان الفني كثيرا بل كانت في غالب الأحيان عاملا مساعدا في شحن المعنى بقوة خارقة عزت على شعراء فنانين لهم قدرات فائقة، وتتماهى في بعض قصائده الصور الثورية والفنية.

ويتحد الحس الثوري والحس الفني وتتقارب الصور وتزول المماحكة[12]، يقول في قصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر":

جزائر مهما باعد الخطب بيننا

تباكرني النجوى وتهفو بي الذكرى

حنيني إلى البيضاء هاج مدامعي

وشوقي إلى (بلكور) أفقدني الصبرا

وفي (حي باب الواد) ماضي صبابتي

تركت (بباب الواد) من كبدي شطرا[13]

وفي الأبيات السابقة يستولي عليه عامل الانتماء فيهيج فيه أشجان الذكرى فيحيله مرة تأثرا جبارا، ويحيله مرة أخرى فنانا حالما، يناجي نفسه وتلذ له الرحلة بوجدانه نحو أشيائه الصغيرة، وتطغى حينئذ صور الفن والجمال ويزول عنها دخان الغصب والثورة[14]، وتترى صور الفن حين تنتابه تلك الهدأة بعد الثورة والغصب، يقول:

وهل لم تزل في الحقل سنبلتي التي

غرست؟ وهل في الحقل زئبقتي الحمرا

ومكتبتي والشعر والغرفة التي

أحاط بها (كوهين) في جوفها ظهرا[15]

فهذا الوصف الرومانسي الحالم صاغه في عبارات وصور فنية خالصة، فهي مشاعر إنسانية تتجلى في كل شعر فني، ويظل أحيانا يعزف سمفونية الفن والوصف والجمال، وتسيطر حينئذ صور الفن لتغدو القصيدة لوحة بديعة ساحرة، يقول واصفا المدن الكبرى الجزائرية:

(وسرتا) وما (سرتا) سوى مشرع الظبي

ومرعى الظبي سلني فإني بها أدرى

ويا ساكني (وهران) بالله خبروا

ألم تتركوا للناس دونكم فخرا؟

وفي حرم الصحراء أهلي وجيراني

وربعي وخلاني وأكبادي الحرى[16]

فهذه الأبيات تحمل صور الحنين والشوق التي تلائمها الصياغة الفنية والألفاظ الرقيقة المعبرة عن العاطفة والوجدان، وتزداد الصور الفنية الرومانسية كثافة فهو في أبيات أخرى يمزج الطفولة والحلم بالألم والمعاناة فيعيش في سجنه الضيق، يستعيد شريط الذكريات بين الأهل والأقارب فيرى نفسه بين النخيل، يقطف العراجين والتمر ويسير مع الأغنام، ويفترش الرمل الوثير ، يقول:

فكم كنت والأهلين نعلو نخيلها

ونقطف صبحا من عراجينها تمرا

ونفترش الرمل الوثير وبيننا

حديث نناجي في حكايته البدرا

ونمرح والأغنام ترعى حيالنا

يداعبها أطفال قريتنا فجرا

ونغدو على الوادي نشم غديره

ونغرف نستسقي أناملنا العشرا[17]

فهذه الأبيات تذكرنا بقصيدة المواكب الرومانسية لجبران خليل جبران:

هل تخذت الغاب مثلي.....منزلا دون القصور

فتتبعت السواقي ..... وتسلقت الصخور

هل فرشت العشب ليلا.....وتلحفت السما

زاهدا فيما سيأتي..... ناسيا ما قد مضى

هل جلست العصر مثلي.....بين جفنات العنب

والعناقيد تدلت.....كثريات الذهب[18]

ومن ثمة فإن مقولته التي التزم بها في المقدمة أي كونه لم يعن بالفن وصناعة اللفظ، لم يلتزم بها في كل قصائده، فالتأثر بالفن الرومانسي واضح في كثير من قصائده، لذلك فإن ثنائية الصور الثورية والصور الفنية تظل حاضرة في شعره، فالشاعر مهما كان اتجاهه لا يستطيع أن يتخلص من الوصف الفني وإنشاء الصور الفنية الجمالية، حيث يزاحمه الخيال والرؤية الشعرية لينخرط في الفن مهما كان اتجاهه الواقعي مسيطرا على قصائده "إن قوة التخييل تتمكن من الجمع بين الأشياء المتباعدة التي لا تربط بينها أشد المختلفات تباعدا، وتلغي حدود الزمان وأطر المكان، وتنطلق إلى آفاق فسيحة لتصنع الأعاجيب"[19].

فالشاعر ما دام شاعرا لا يستطيع التجرد التام من مكونات الشعر والإبداع، لذلك فإن مفدي زكريا بخياله الشعري وعاطفته الوطنية كان يراوح ويغدو بين الصور الشعرية، صور الثورة والبطولة والنضال وصور الفن والجمال، فهو لم يثبت في اتجاه واحد ومن ثمة يمكن الحكم عليه من خلال شعره بأنه شاعر الثورة والفن، وربما يطغى الحس الثوري أحيانا فيخرج التعبير عن السياق الفني إلى الثوري فتختلف الرؤى، ومع ذلك يحدث الائتلاف كما قال جابر عصفور، فالشاعر حين ينسجم لديه المعنى مع النفس ينتج صورا متآلفة مهما كانت في ظاهرها متباعدة، ويستطيع بخياله الثري أن يحدث الانسجام بين الصور المتضاربة، وهذه البراعة في الربط قد تحققت لدى مفدي زكريا في محطات معينة من شعره "إن نجاح الصورة الشعرية في أداء مهمتها على الوجه الأكمل،

إنما يعود إلى الانسجام والتآلف الذي يحصل بين هذين المستويين –إشارة منه إلى المستوى المعنوي والنفسي– وأقصى ما كان للتصور الشائع أن يصل إليه هو أن يربط بين المستويين معا داخل ما يسمى بدلالات الصور الشعرية"[20]، ويتجلى الانسجام المعنوي والنفسي في البيت التالي حيث التآلف التام وعدم التقلقل والاضطراب بين المستويين الدلالي والنفسي، يقول:

بلادي التي من ذوب قلبي نظمتها

نشيدا فغنى الكون ثورتها شعرا[21]

فالتناغم واضح في البيت بين المستويين ويكون الشاعر بذلك قد حقق أقصى درجات الشاعرية.

ويتحد الجانب النفسي مع الموضوع إلى أقصى حد، حيث يصبح الموضوع والنفس شيئا واحدا في صورة حلولية صوفية تامة، يقول:

أنا ابن الجزائر من أمة

على دمها تصعد الرابية

على ذوب أكبادها ترتقي

وفوق جماجمها ماضية

غدوت لثورتها شاعرا

من النار والنور ألحانية[22]

فهذا الحب للجزائر جعله يبلغ درجة الصوفي الذي يتماهى مع الكون، فيرى كل شيء فيها جزءا من كيانه وذاته، وهنا تلغى الغيرية والسوى ليصبح صوت الشاعر نارا ونورا، وهذا الانصهار الثوري الكلي يجعل الفن لديه أمرا ثانويا لا قيمة له لأنه مأخوذ بالحقيقة وحدها وهي الجزائر التي أصبحت في نظره صورة مثالية، ويذوب الإحساس

الثوري والفني في بوتقة الانصهار التام، ففي هذه الدرجة القصوى من الاختمار الشعري تتآلف كل الصور ويزول كل اختلاف أو تماحك بين الصور وتتمازج كل الصور لتصبح جوهرا واحدا وهو "النار والنور".

وقد أوضح جون كوهن John Cohen في كتابه "بنية اللغة الشعرية" ثنائية اللغة المعيارية والانزياح، حيث يخترق الانزياح اللغة لإنشاء الشاعرية، والانزيحات في شعر مفدي زكريا مكثفة، وربما حدوث تلك الانزياحات كان ناجما عن النفس الثائرة التي تغلبت على الموضوعية والانسجام الفني، وقد أشار جان كوهن إلى هذا المعنى، حيث ينتقل الشاعر من التقرير العقلي إلى الدلالة الإيحائية، ويختفي الجانب الثوري تماما عن طريق الانزياح Déviation ولا تخلو قصائد مفدي زكريا من تلك الانزياحات الشديدة، وتغدو بذلك الصور الفنية والجمالية منسجمة كل الانسجام، ولكن الشاعر يتجاذبه الواقع فيندمج فيه وتتباعد الصور عن بعضها بعضا لترسم جوا آخر من الشعر.

عندما يكتب مفدي زكريا أشعاره الثورية التي لم يقصد بها الفن كما قال في مقدمة ديوانه ترد إلى الخاطر مقولة أرسطو في تعريفه للشعر "إنا متكلمون الآن في صناعة الشعر وأنواعها"[23]، فعلا يصبح الشعر صناعة لما ينظم الشاعر ليس بقصد الفن وإنما لهدف حياتي آخر، وإن كان الشعر كله عند قدماء اليونان وقدماء العرب صناعة، فترى الشاعر يهيم ببلده أو أشيائه التي يحبها هياما خارجا عن إطار الفن أو التنميق والزخرفة اللفظية ليرسم صورة فنية خالصة "أما صياغة الأبيات، فقد بلغت درجة كبيرة من الحذق والمهارة، ولكن الصياغة الفنية الماهرة، لم تكن هي الدافع الأساس لابتكار تلك الصور الثورية، بل ربما كان الشاعر في ذهول تام عن زخرفة الإطار الخارجي، والشكل الفني... ومن منا لا يقف مندهشا عندما يقرأ قصيدة "الذبيح الصاعد" فيدرك بجلاء هذا المعنى في صدقه ويجد نفسه منجذبا بين تيارين قويين، تيار الفن

وتيار الوطنية، تتنازعه الصورة الشعرية في بنائها الفني ومعناها الرسالي)[24]، فمفدي زكريا في أشعاره كان يروم اللذة السامية، وأرسطو حين يرى بأن الميولات الطبيعية هي مصدر الشعر ومنشؤه يقول بأن "اللذة هي هدف الشعر بل هي هدف جميع الفنون الجميلة.. ويقصد بهذه اللذة السامية التي تمنح متعة جمالية مصدرها الشعر"[25]، فاللذة هي المحرك الأساس لقول الشعر، وهي حالة نفسية شعورية ثم من خلالها تأتي المتعة ويأتي بعد المتعة الشعر، وهنا يكون أرسطو أسبق من رونالد بارت R. Barthes حين يتحدث عن أثر اللذة في إنشاء الفنون، ومن هذا التعريف لأرسطو أو بارت يدرك المتلقي أن مفدي زكريا كان دافعه الأساس هو اللذة، لذة التغني بالوطن والحرية، ويدرك أيضا أن مفدي زكريا بلغته الانفعالية يقترب من اللغة اليومية ويبتعد عن اللغة الشعرية، وهذا الفاصل وضعه الشكلانيون في العصر الحديث، ويمكن إيجاز نظرتهم في العبارة التالية "إقامة التفاعل بين اللغة اليومية واللغة الشعرية وحاولوا تحديد العلاقة بين اللغة الانفعالية واللغة الشعرية والتركيب الصوتي للشعر"[26].

ومهما كانت مدلولات مصطلحات النقاد والمحدثين في تفسير الشعرية وأدبية الأدب من قدماء ومحدثين الذين تباينت آراؤهم في مفهومها كالاتساع في المعنى عند الجرجاني والتوسع عند سيبويه، وغير ذلك من المفاهيم أو الانزياح عند جون كوهن أو غير ذلك من المفاهيم، إلا أن الانزياحات اللغوية عند مفدي زكريا لا تعني الشعر بالدرجة الأولى بقدر ما تعني رسم صورة حسية بقصد الرغبة واللذة في شيء ما أو إبراز شعور نفسي معين، يقول الشاعر:

نطق الرصاص فما يباح كلام

وجرى القصاص، فما يتاح ملام

وقضى الزمان، فلا مرد لحكمه

وجرى القضاء وتمت الأحكام[27]

فهذه الصور الانزياحية ليست وليدة الرغبة في الفن، إنما الرغبة في التحرر والانعتاق من ربقة الاستعمار الغاشم "ومن الخصائص في كل صورة شعرية أن تكون مسايرة للشعور السائد في السياق الذي يبرزها إلى الوجود، ذلك أن ارتباط الصورة بالجانب النفسي المراد الكشف عنه ضرورة يقتضيها النمو الداخلي للنص الشعري، بل إن قصارى ما تطمح إليه الصورة، إنما هو أن توظف توظيفا جيدا لخدمة هذا الجانب"[28]، ولهذا فإن توظيف الصورة بشكل عام يكون لغاية إبراز الجانب النفسي، وهذا لا يعني أن الصورة لا تكون شعرا خالصا وفنا مستقلا عن كل غرض خارج الفن، والشاعر ذاته هو الذي يحدد الاتجاه، فقد يكون التشبيه بين شيأين حسيين "إن التشبيه الذي يرد فيه وجه الشبه أو الأداة يكاد يكون لونا من المقارنة بين شيأين واقعيين"[29]، والخلاصة هو أن الصور الشعرية في أشعار مفدي زكريا تتماحك فيما بينها، وهذا التماحك ناتج عن مصدرها فتارة يكون ميلا نفسيا تجاه وطنه وتارة ينجذب في خمرة ثورية حتى يصير خطابه شعريا لا يفترق عن الشعر والفن.

الهوامش:

---

[1]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ط1، 2009، ص07.

[2]– محمد عيسى موسى: كلمات مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص304.

[3]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930–1945، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992، ص37.

[4] – Mohammed Dib: Ombre gardienne, sindbad, Paris, 1984, p11. ترجمة شخصية

[5]– محمد سعدون: تجليات النص من زوايا نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018، ص9، 10.

[6]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص103.

[7]– نفسه، ص65.

[8]– نفسه، ص17.

[9]– محمد سعدون: تجليات النص من زوايا نقدية، ص10.

[10]– زكية خليفة مسعود: الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، منشورات جامعة خان يونس، بنغازي، ط1، 1999، ص22، نقلا عن: عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص391.

[11]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص85.

[12]– محمد سعدون: تجليات النص من زوايا نقدية، ص11.

[13]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص261.

[14]– محمد سعدون: تجليات النص من زوايا نقدية، ص11.

[15]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص261.

[16]– نفسه، ص262.

[17]– نفسه، ص263.

[18]– جبران خليل جبران: المواكب، دار البستاني للنشر والتوزيع، لبنان، 2006، ص91.

[19]– جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص38.

[20]– عبد الله راجع: القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد، ج1، دار قرطبة، للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1987، ص238.

[21]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص263.

[22]– نفسه، ص287.

[23]– أرسطو طاليس: فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1973، ص85.

[24]– محمد سعدون: تجليات النص من زوايا نقدية، ص14.

[25]– ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تحقيق: محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971، ص12.

[26]– نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص14.

[27]– مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص42.

[28]– عبد الله راجع: القصيدة الشعرية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد، ص236.

[29]– صلاح فضل: علم الأسلوب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985، ص270.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تحقيق: محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971.

2.أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945، ج3، بيروت، ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
3.أرسطو طاليس: فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1973.
4.جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974.
5.جبران خليل جبران: المواكب، دار البستاني للنشر والتوزيع، لبنان، 2006.
6.زكية خليفة مسعود: الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، منشورات جامعة قان يونس بن غازي، ط1، 1999.
7.عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر.
8.صلاح فضل: علم الأسلوب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985.
9.عبد الله راجع: القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد، ج1، دار قرطبة، للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1987.
10. محمد سعدون: تجليات النص من زوايا نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2018.
11. محمد عيسى موسى: كلمات مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية، د.ط، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003.
12. مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغابة، الجزائر، ط2009،1.
13. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.
14. Mohammed Die: Ombre gardienne , sind bod, Paris, 1984